

تفسير البحر المحيط

@ 462 عيسى . وهذان القولان شبيهان بأقوال المعتزلة حيث ينفون وجود الخارق على غير النبي ، إلا إن كان ذلك في زمان نبي ، فيكون ذلك معجزة لذلك النبي . .
والظاهر أنها كرامة خصها بها مريم ، ولو كان خارقاً لأجل زكريا لم يسأل عنه زكريا ،
وأما كون ذلك لأجل نبوة عيسى ، فهو كان لم يخلق بعد . .

قال الزجاج : وهذا الخارق من الآية التي قال تعالى : { وَجَعَلْنَاهَا وَاِبْنَهَا
ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ } وقال الجبائي : يجوز أن يكون من معجزات زكريا ، دعا لها على
الإجمال . لأن يوصل لها رزقها ، وربما غفل عن تفاصيل ذلك ، فلما رأى شيئاً معيناً في وقت
معين ، سأل عنه ، فعلم أنه معجزة ، فدعا به أو سأل عن ذلك خشية أن يكون الآتي به
إنساناً ، فأخبرته أنه { مِنْ عِنْدِ اللَّهِ } ويحتمل أن يكون على أيدي المؤمنين ،
وسأل لئلا يكون على وجه لا ينبغي . .

{ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } تقدم تفسير هذه الجملة ،
والظاهر أنها من كلام مريم وقال الطبري : ليس من كلام مريم ، وأنه خبر من الله تعالى لمحمد
صلى الله عليه وسلم) . . .

وروى جابر حديثاً مطولاً فيه تكثير الخبز واللحم على سبيل خرق العادة لفاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم) ، فسألها : من أين لك هذا ؟ فقالت : هو من عند الله . فحمد الله ،
وقال : الحمد الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل . .

قيل : وفي هذه الآيات أنواع من الفصاحة . العموم الذي يراد به الخصوص في قوله : على
العالمين ، والإختصاص في قوله : آدم ، ونوحاً ، وآل إبراهيم ، وآل عمران . وإطلاق اسم
الفرع على الأصل والمسبب على السبب ، في قوله : ذرية ، فيمن قال المراد الآباء ،
والإبهام في قوله : ما في بطني ، لما تعذر عليها الإطلاع على ما في بطنها أتت بلفظ : ما ،
الذي يصدق على الذكر والأنثى ، والتأكيد في قوله : { إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ } والخبر الذي يراد به الاعتذار في قولها : وضعتها أنثى ، والاعتراض في قوله
: والله أعلم بما وضعت ، في قراءة من سكن التاء أو كسرهما وتلوين الخطاب ومعدوله في قوله
: والله أعلم بما وضعت ، في قراءة من كسر التاء ، خرج من خطاب الغيبة في قولها : فلما
وضعتها ، إلى خطاب المواجهة في قوله : بما وضعت والتكرار في : وأنثى ، وفي : زكريا ،
وزكريا ، وفي : من عند الله ، إن الله والتجنيس المغاير في : فتقبلها ربها بقبول ، وأنبتها
نباتاً ، وفي : رزقاً ويزرق والإشارة ، وهو أن يعبر باللفظ الظاهر عن المعنى الخفي ، في

قوله : هو من عند الله ، أي هو رزق لا يقدر على الإتيان به في ذلك الوقت إلا الله . وفي
قوله : رزقا ، أتى به منكرا مشيرا إلى أنه ليس من جنس واحد ، بل من أجناس كثيرة ،
لأن النكرة تقتضي الشيوع والكثرة . والحذف في عدة مواضع لا يصح المعنى إلا باعتبارها . .
{ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ } أصل : هنالك ، أن يكون إشارة للمكان ، وقد
يستعمل للزمان وقيل بهما في هذه الآية ، أي في ذلك المكان دعا زكريا ، أو : في ذلك
الوقت لما رأى هذا الخارق